



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

# إيران ودول المغرب المسألة الشيعية

الكتاب 115 يوليو (تموز) 2016

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

# التشيع بالمغرب: الأداء التنظيمي والإعلامي... دراسة حالة

رشيد البوشواري\*

حسن أشرواو(\*\*)

**ما أشكال وأنماط حضور الشيعة بالمغرب؟ وما الكيفية التي تظهر بها هذه الفئة في الفضاء العام المغربي؟ وبأي خطابات واستراتيجيات وفي أي قنوات؟ ثم ما علاقة المجتمع المغربي بالشيعة؟ وكيف يمكن دراسة التدين الشيعي بالمغرب؟ وما أسباب وعوامل التحول المذهبي لدى المتدين المغربي؟ ثم كيف يتمثل هذا النمط من التدين لدى المغاربة؟**

(\* باحث مغربي في علم الاجتماع الديني في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر (أكادير - المغرب).

(\*\*) أستاذ الفلسفة وباحث في مركز الجهوي لمهن التربية والتكوين (إنزكان - المغرب).

إنها جملة من الأسئلة ننطلق منها للقيام بدراسة موضوعية للظاهرة الشيعية بالمغرب بصفة عامة. إن هذه الأسئلة التي تشغلنا كباحثين في الحقل السوسيولوجي، تحمل في عمقها نمط المقاربة المنهجية التي سنعتمدها، وكذا طبيعة الفرضية التي سنقدمها.

دراسة ظاهرة التشيع في المغرب تستدعي منذ الوهلة الأولى اتخاذ حذر إبستيمولوجي بتعبير ماكس فيبر (Max weber)؛ ومن جهة أخرى يتطلب منا الأمر تناول الموضوع في عمقه السوسيولوجي (ما دام الأمر هنا يتأسس سوسيولوجياً) وبعيداً من السعي وراء العموميات التي تروج لها المنابر الإعلامية. وانطلاقاً من جملة هذه الاعتبارات فإن تناولنا لظاهرة التشيع بالمغرب على صعيديه (الماكرو/ الميكرو)، التنظيم/ الفرد (أي التشيع الشعبي)، العام/ الخاص، سيكون ذا خصوصية انفرادية، إذ لن نقتصر هنا على المؤشر الكمي (أو بالأحرى السؤال الإعلامي الأكثر تداولاً: كم عدد الشيعة في المغرب؟) وإنما سنتخذ من البعد الكيفي للظاهرة أبرز منطلق لهذه الدراسة، لذلك فإن أبرز ما ستضمنه الفقرات القادمة، سيكون ذا مسار كيفي ينطلق في جانب أولي: من تحليل لأنماط الظهور الإعلامي والثقافي والسياسي للشيعة في المغرب (الماكرو)، وذلك في أفق رصد لأدائها التنظيمي. ومن جانب آخر يرصد أنماط وأشكال ودوافع التشيع الشعبي (الميكرو) من خلال دراسة الحالة.

## تاريخ الشيعة في المغرب

تصر بعض الكتابات التاريخية، عن التشيع في المغرب<sup>(1)</sup>، على أن المذهب الشيعي بالمغرب يضرب بجذوره في عمق التاريخ المغربي، إذ نجد في بعض الكتابات (كتاب الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصري كمثال) من يرجع وجود الشيعة بالمغرب إلى فترة قدوم إدريس الأول، مؤسس دولة الأدارسة، أول دولة علوية هاشمية تقوم في التاريخ الإسلامي، وتعود نسبتها إلى مؤسسها إدريس بن

(1) سعدون، عباس: دولة الأدارسة في المغرب، العصر الذهبي، طبعة دار النهضة العربية، 1987، ص12.

عبدالله بن حسن بن علي بن أبي طالب، الذي هرب مع مولاه راشد إلى مصر، ثم إلى المغرب الأقصى بعيداً من أيدي العباسيين كما يتكرر في الدراسات التي تنصر هذا المذهب .

وبعد أن استقر إدريس في (وليلي) المغربية، اتصل بإسحاق بن محمد بن عبد الحميد زعيم قبيلة (أوربة) البربرية، وقد خلع إسحاق بن عبد الحميد طاعة بني العباس حيث كان من ولايتهم، وتنازل لإدريس عن الحكم سنة 172هـ / 788، وذلك بعد تعرفه على نسب إدريس وقرابته من النبي (صلى الله عليه وسلم). استقرت الأمور لإدريس بن عبدالله، ودانت له معظم القبائل التي تعترف بحكمه، ونشر الإسلام بين القبائل التي لا تزال على اليهودية أو المسيحية، فدخل كثير من أهل هذه البلاد الإسلام. وبالجملة فدولة الأدارسة ساعدت في تعريب المغرب، وقامت بنشر الإسلام في غرب أفريقيا، وتثبيت البربر على الإسلام، وحاربت الخوارج وأفكارهم، وقد كان مذهبها أقرب مذاهب الشيعة إلى أهل السنة<sup>(2)</sup> حسب هذه الروايات.

أما المؤرخ المغربي عبدالله العروي، فيرى أن مذهبية الدولة الإدريسية تختلف بين روايتين: منها التي تصنفها في باب العقيدة الزيدية- المعتزلة. ثم الرواية التي تؤكد أن إدريس الأول كان سنياً. ويضيف قائلاً: «والتوفيق بين الرأيين ممكن؛ لأن الكلام هنا على بداية التشيع والاعتزال، لا على ما آل إليه أمرهما في القرن الـ(4) الهجري، الـ(10) الميلادي، بعد أن تطعم الاعتزال بالفلسفة، وبعد أن أصبح التشيع فاطمياً باطنياً. كانت آراء إدريس الأول -على الأرجح- آراء زيد بن علي (...). لا تزيد على إثبات علاقته بالدعوة الزيدية، بتركيزه على الظلم الذي لحق آل البيت، دون التعرض إلى أي من مسائل العقيدة»<sup>(3)</sup>.

وفي كتابات أخرى، هناك من يشير إلى دور بعض الطرق الدينية في نشر التشيع

(2) المرجع السابق، ص13.

(3) عبدالله، العروي، مجمل تاريخ المغرب، الجزء الثاني، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 2000، ص19.

بالمغرب، وخصوصاً الطريقة «الصديقية»<sup>(4)</sup>، إذ يقر بعض المهتمين بدراسة ظاهرة التشيع بالمغرب الأقصى، بأن الطريقة «الصديقية» أسهمت بشكل كبير في تسهيل نشر المذهب الشيعي في المغرب، فمنذ الزيارة التي قام بها أحمد بن الصديق إلى المشرق، في عز تصاعد مد المعتزلة، حيث تأثر بكتابات محمد بن عقيل (من الشيعة الإمامية) مؤلف كتاب «العتب الجميل لأهل الجرح والتعديل» الذي تهجم فيه على أهل السنة والحديث، وقد تأثر بشيوخ من حضرموت باليمن، فلما عاد إلى المغرب، بدأ ينشر أفكار وعقائد الشيعة بين مريديه وتلامذته، وقد خلفه في إكمال مهمته عبدالعزيز بن الصديق، الذي كان له ميول واستعداد لذلك التوجه، وهنا تجدر الإشارة إلى المكتبة التي تحمل اسمه في مدينة طنجة (شمال المغرب) ودورها بشكل أو بآخر في نشر الفكر الشيعي، من خلال المؤلفات والكتب التي تعرضها هناك<sup>(5)</sup>.

كان كذلك للعلاقة الخارجية بين إيران والمغرب أثر في المد الشيعي بالمغرب، إذ نجد أن هذه العلاقة عرفت تطوراً خاصاً، فتارة تكون العلاقة جيدة وتارة أخرى تصبح علاقة سيئة جداً، ويمكن أن نعود، في هذا السياق، لتحديد طبيعة العلاقة بين البلدين إلى فترة ما قبل الثورة الإيرانية، التي تميزت بقوة العلاقة بينهما، وخصوصاً بين نظام الشاه والملك الحسن الثاني، لدرجة أن الحسن منح حق اللجوء للشاه بعد الثورة الخمينية.

كان لثورة الخميني صدى كبير في العالم العربي عموماً وفي المغرب خصوصاً، فظهور التيار الراديكالي الشيعي وسيطرته على بلد غني بالموارد الطبيعية، ودعوته إلى إسقاط الأنظمة الملكية واستبدالها بجمهوريات إسلامية، يهدد الأنظمة العربية لا سيما الملكية منها، وفي هذا السياق عمل النظام المغربي على التصدي لكل ما اعتبره محاولات إيرانية لتصدير الثورة إليه، خصوصاً مع توارد الأخبار بوجود حملة

(4) المصطفى، البرجاوي، تاريخ تغفل التشيع إلى أرض بلاد المغرب السني، وأثر المؤسسات والعلماء في وقف زحفه، صحيفة الوحدة، 17 سبتمبر (أيلول) 2014، على الرابط التالي:

<http://alwahda.info/news5064.html>

(5) قاسم، العلوش، الشيعة والتشيع بالمغرب الأقصى... البداية والمسار، بتاريخ 2015/12/11، على الرابط التالي:

[http://alburhan.com/main/articles.aspx?article\\_no=2718#Vmqm89LJxdg](http://alburhan.com/main/articles.aspx?article_no=2718#Vmqm89LJxdg)

للتشيع بالمغرب مدعمة من طرف إيران، الشيء الذي تم اعتباره تدخلاً في الشؤون الدينية المغربية، ومساساً بالأساس الديني الذي يقوم عليه نظام الحكم في المغرب مما جعل النظام المغربي مضطراً إلى قطع العلاقات مع إيران سنة 1981 كما مر علينا.

وفي التسعينيات، شهدت العلاقة بين البلدين تطوراً إيجابياً؛ إذ أصبح المغرب منفحاً ثقافياً وتجارياً على إيران، مما كان له أثر كبير في انتشار الكتاب الشيعي بالمغرب، وازدهار التبادل الثقافي والتجاري بين البلدين. وظل الاستقرار النسبي يميز العلاقة بين البلدين طوال مرحلة التسعينيات من القرن الماضي، حيث إن العلاقات المغربية الإيرانية بلغت درجة كبيرة من التحسن، خصوصاً في المجالين التجاري والثقافي بعد تجميد إيران علاقاتها مع «البوليساريو»<sup>(6)</sup>، واستمرت العلاقات الثنائية في التطور إلى ما بعد مرحلة تسلم محمد السادس مقاليد الحكم بعد وفاة والده الحسن الثاني<sup>(7)</sup>. وحافظت العلاقات على ديناميتها السياسية إلى أن تم قطعها سنة 2009. أثار هذا الأمر العديد من التساؤلات، بعد أن كان المبرر الرئيس هو تضامن الرباط (عاصمة المغرب) مع المنامة (عاصمة البحرين) بعد التصريحات الإيرانية التي تمس استقلال البحرين، والتي أطلقها رئيس البرلمان الإيراني السابق السيد ناطق نوري، إضافة إلى مبرر آخر يتمثل في تهديد الوحدة المذهبية للدولة المغربية، من خلال سعي البعثة الدبلوماسية الإيرانية إلى نشر المذهب الشيعي. إن هذين المبررين لا يشكلان وحدهما تفسيراً منطقياً للقرار المغربي<sup>(8)</sup>؛ إضافة إلى شكوك مغربية غير معلنة هي الأخرى، بشأن وجود تعاون عسكري إيراني- جزائري رفيع المستوى، بدت معالمه واضحة بعد تبادل الزيارات بين رؤساء الأركان في المؤسستين العسكريتين الجزائرية والإيرانية. وتذكر بعض وسائل الإعلام المغربية أن إيران استغلت الانفتاح الديمقراطي الذي عرفته المملكة المغربية على خلفية التحولات التي

(6) جبهة بوليساريو تعني اختصاراً الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب. تأسست البوليساريو بعد انعقاد مؤتمرها التأسيسي في 20 مايو (أيار) 1973 وتهدف إلى إقامة دولة مستقلة في إقليم الصحراء بالمغرب.

(7) الحسين، الزاوي، المغرب العربي وإيران: تحديات التاريخ وتقلبات الجغرافيا السياسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ملفات، الدوحة - قطر، يناير (كانون الثاني) 2011، ص 10.

(8) المرجع السابق، ص 10.

حدثت على مستوى هرم السلطة في المغرب، بعد جلوس الملك محمد السادس على العرش؛ من أجل إعطاء نفس سريع لنشاطها بالمملكة. وقد أسهم هذا النشاط في ميلاد جمعيات شيعية مثل «جمعية الغدير» بمدينة مكناس (شمال المغرب)، و«جمعية الانبعاث» بمدينة طنجة (شمال المغرب) و«جمعية التواصل» بمنطقة الريف في شمال المغرب، وسعت إيران بعد ذلك إلى نشر المذهب الشيعي في أوساط الجاليات المغربية بأوروبا، خصوصاً في هولندا وألمانيا، إذ إن قسماً من الشباب المغربي المهاجر أعجب بالمذهب الشيعي، لأنه لم يكن يملك القدرة على التمييز بين ما هو شيعي وما هو سني من جهة. ومن ثمة فقد فضل بعضهم هذا النموذج من التدين على الأنموذج السلفي الذي تلطخت صورته نتيجة ممارسات الحركات الإرهابية، التي تسببت في الكثير من المتاعب للجالية المغربية المهاجرة في أوروبا؛ خصوصاً بعد تفجيرات مدريد ولندن. كما أن إيران تجاوزت ما يراه المغرب «خطوطاً حمراء» حينما بدأت في أواخر سنة 2008 في إجراء اتصالات مع تنظيم عبدالسلام ياسين الموسوم بـ«حركة العدل والإحسان». وهو تنظيم إسلامي ينشط بشكل أساسي في المغرب وأوروبا بعد أن منعت السلطات المغربية من ممارسة نشاطاته بالمملكة؛ وخصوصاً أن نادبة ياسين، ابنة الشيخ ياسين والناطقة باسم «الحركة»، كانت قد صرحت في نوفمبر (تشرين الثاني) 2005 بأنها تفضل الجمهورية على الملكية، وقدمت كنموذج على ذلك الجمهورية الإسلامية الإيرانية<sup>(9)</sup>.

أما في الفترة الحالية، فيشكل «الخط الرسالي» أبرز الفاعلين في الأداء التنظيمي للشيعية بالمغرب، حيث يعتبر هذا التنظيم امتداداً للخط الرسالي الذي أرسى قواعده المرجع محمد حسين فضل الله، والذي يعتبر مرجعية الشيعة المغاربة «الرساليين» كما يسمون أنفسهم، ويتفرق أتباع هذا الخط في أغلب مدن المغرب وعلى الخصوص بشمال البلاد، وتمكن أتباع هذا التيار الشيعي بعد سنوات من العمل السري من الحصول على ترخيص من المحكمة التجارية بمدينة فاس، لإنشاء مؤسسة اقتصادية خاضعة لقانون الشركات باسم «مؤسسة الخط الرسالي

(9) Omar, Dahbi, Aujourd'hui le Maroc , 15-03-2009

لدراسات والنشر» اعتبروها مؤسسة ثقافية بالدرجة الأولى، ونقلوا مقرها إلى مدينة طنجة<sup>(10)</sup>.

## التشيع والأداء التنظيمي بالمغرب

### الشيعة المغاربة والسياسة

عقب أحداث الحراك الشعبي الذي عرفه المغرب خلال سنة 2011، وبالموازاة مع إعلان المغرب لورش الإصلاحات الدستورية، استغل فصيل متشيع يدعى «هيئة الإمام الشيرازي» الفرصة ليعلن دعمه للدستور الجديد، حيث أعلن تصويته بـ«نعم» على الدستور. وللإشارة فـ«هيئة الإمام الشيرازي» فصيل متشيع كان يعرف قبل سنة 2012 بـ«هيئة شيعة طنجة»، قبل أن يغير بعد ذلك اسمه. ويربط البعض هذا الفصيل بـ«ياسر الحبيب» الكويتي المقيم في لندن، بعدما سحبت الكويت منه الجنسية على خلفيات تصريحات أعلنها أمام أتباعه، اعتبرت محرضة على الفكر المتطرف. وينتسب هذا التيار إلى الإمام محمد الشيرازي، أحد مراجع الدين الشيعية المعروفين في العراق وإيران.

بالإضافة إلى ذلك، فقد كانت هناك بعض التحركات عبر المنتديات الإلكترونية وصفحات مواقع التواصل الاجتماعي، التي ردد فيها المتشيعون المغاربة شعارات «حركة 20 فبراير»<sup>(11)</sup>، وطالبوا بحقهم في تأسيس تنظيم خاص بهم، كما انتقدوا الحملة الأمنية التي يتعرضون لها. وجد الشيعة المغاربة في أحداث الربيع المغربي 20 فبراير (شباط) 2011 فرصة للدفاع عن أنفسهم، فأيدوا وانخرطوا في الحراك تأييداً ومشاركة، من دون أن يشيروا إلى هويتهم الدينية، إذ غلب على خطابهم الانتصار لقيم الحرية والإصلاح والديمقراطية التي رفعها «الربيع العربي»

(10) إبراهيم، الصغير، التشيع في المغرب وتبادل الأدوار بين الخطين «الشيرازي» و«الرسالي»، هوية بريس، 5 سبتمبر (أيلول) 2015، على الرابط التالي:

<http://howiyapress.com/10440-2>

(11) حركة احتجاجية مغربية ظهرت سنة 2011 عقب الحراك الذي شهدته منطقة شمال أفريقيا، وقد تزعمها مجموعة من الشباب المطالبين بمطالب سياسية واجتماعية.



في كل مكان<sup>(12)</sup>.

أما بخصوص موقفهم من الحكومة التي يقودها حزب العدالة والتنمية بالمغرب بعد سنة 2011، ففي مقال نشره أحد الناشطين في «الخط الرسالي» في أحد المواقع الإلكترونية، تحت عنوان: «الحركة الإسلامية بالمغرب بين الاحتضار والانتظار»<sup>(13)</sup>، يقول: «إن تسلم حزب العدالة والتنمية مقاليد الحكومة، في ظل ظرفية سياسية واقتصادية استثنائية، من دون أن يكون الحزب شارك ولو لمرة واحدة في حكومة ما من قبل، وفي ظل صلاحيات أوسع لرئيس الحكومة، خلافاً لما كان عليه الأمر في الدساتير السابقة، كل ذلك يجعلنا نعتقد أن حزب العدالة والتنمية بالمغرب لم يكن جاهزاً وناضجاً بما يكفي لتسلم مقاليد الحكومة، وأنه قام بحرق المراحل وتجاوز سنة التدرج الطبيعي لحركية الإصلاح، فحاول قطف الثمار قبل الأوان، مستفيداً من رياح التغيير إقليمياً».

ويحمل هذا القول موقف «الخط الرسالي» من الحزب الحاكم، الذي يمثل «حركة التوحيد والإصلاح»<sup>(14)</sup>، التي دخلت في صراع إعلامي مع الشيعة المغاربة بعد أن سارعت «حركة التوحيد والإصلاح» إلى تأييد موقف الحكومة المدافع عن سنية المغرب ووحدته العقديّة، مشددة، على لسان نائب رئيس الحركة عمر بن حماد، على أن: «الوحدة المذهبية للمغرب شيء ثابت ولا يجوز التفريط فيها. ومن واجبات الدولة الحزم في الدفاع عن الأمن الروحي والسياسي للمواطنين ضد التشيع». لكنها طالبت في الوقت نفسه الحكومة بتوفير الناس بحقيقة التشيع وحجمه، مشككة في أرقام متداولة حول عدد الشيعة المغاربة<sup>(15)</sup>.

(12) عصام، احمدان: التشيع بالمغرب والمقاربات الرسمية الممكنة، موقع إسلام مغربي، 9 أكتوبر (تشرين الأول) 2012، على الرابط المختصر التالي:

<http://cutt.us/YRLF>

(13) عصام احمدان: الحركة الإسلامية بالمغرب بين الاحتضار والانتظار، موقع هسبريس، 1 سبتمبر (أيلول) 2012، على الرابط التالي:

<http://www.hespress.com/writers/61639.html>

(14) تنظيم إسلامي بالمغرب يهدف -حسب أديباته- إلى تحقيق نهضة إسلامية من خلال حركة إصلاحية معتدلة تعتمد المرجعية الإسلامية، وتبني خيار الشورى والديمقراطية.

(15) موقع مغرس، الحركة الإسلامية والموقف من التشيع 7 نوفمبر (تشرين الثاني) 2008، على الرابط التالي:

لم تطل الانتقادات «حركة التوحيد والإصلاح» في ذات ممثلها السياسي «حزب العدالة والتنمية»، وإنما تم توجيه النقد كذلك إلى أبرز الحركات الإسلامية الناشطة في فترة الحراك سنة 2011 في المغرب، وخصوصاً «حركة العدل والإحسان»<sup>(16)</sup>، إذ يعبر عصام احميدان (أبرز الناشطين بالخط الرسالي) في المقال نفسه الذي أشرنا إليه سابقاً عن موقف «الخط الرسالي» من مشاركة «حركة العدل والإحسان» في الحراك المغربي سنة 2011 إذ يقول: «أمام حالة التعجل السياسي لحزب العدالة والتنمية، ودخوله الساحة الحكومية في الوقت الخطأ وبالطريقة الخطأ أيضاً، نجد في مقابل ذلك مكوناً إسلامياً آخر وهو جماعة العدل والإحسان، هذا الأخير قرأ السياق الإقليمي بطريقة خطأ أيضاً، فخرج في الوقت وبالكيفية الخطأ ضمن حركة (20 فبراير)، وحاول الرفع من سقف نضاله السياسي في وقت كانت القوى السياسية التي مثلت الغطاء السياسي لحركة (20 فبراير) ترفع شعار «الملكية البرلمانية» فحدث نوع من التناقض بين المشروع العقائدي للجماعة «الخلافة على منهاج النبوة» وبين الشعارات السياسية الذي ترفعها حركة (20 فبراير) وهي الملكية البرلمانية ومحاربة الفساد، وكل ذلك في إطار الدولة المدنية لا الدينية»<sup>(17)</sup>.

صدر بلاغ عن «الخط الرسالي» بخصوص الخطاب الملكي القائل بالوحدة المذهبية للمغرب، والمرسخ للهوية الدينية للمغرب على تقليد ديني عام متكون من عناصر ثلاثة: العقيدة الأشعرية، المذهب المالكي، والسلوك الصوفي. يؤكد تشبث الشيعة المغاربة بوطنيتهم مع تأكيدهم الحقوق العقائدية التي يخولها لهم الدستور المغربي (الفصل 03 من دستور 2011)، وبالمقابل حاولوا تأويل الخطاب الملكي (خطاب 30 يوليو/ تموز 2015)؛ والذي تضمن ما يلي: «فلا تسمح لأحد من الخارج أن يعطيك الدروس في دينك. ولا تقبل دعوة أحد لاتباع أي مذهب أو منهج، قادم من الشرق أو من الغرب، أو من الشمال أو الجنوب، على الرغم من احترامي لجميع الديانات السماوية والمذاهب التابعة لها. وعليك أن ترفض كل دوافع التفرقة. وأن

<http://www.maghress.com/attajdid/45292>

(16) أكبر التنظيمات الإسلامية بالمغرب، أسسها عبد السلام ياسين سنة 1981.

(17) عصام، احميدان: الحركة الإسلامية بالمغرب بين الاحتضار والانتظار، مرجع سابق.

تظل كما كنت دائماً، غيورا على وحدة مذهبك ومقدساتك، ثابتا على مبادئك ومعتزا بدينك، وبانتمائك لوطنك»<sup>(18)</sup>، لصالحهم قائلين بأن الخطاب موجه نحو المتشددین والوهابيين الذين يشكلون - حسب تعبيرهم - خطورة على النمط الديني بالمغرب.

وبخصوص نمط تعامل الدولة مع المتشيعين ووضعتهم بالمغرب، ورد في التقرير الذي نشره «معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى» سنة 2014 حول «الحرية الدينية في العالم» ما يلي: «تتجه الحكومة المغربية إلى التمييز بين الشيعة الذين اعتنقوا المذهب الشيعي بدافع الشعور بقناعة دينية، وأولئك الشيعة الذين - في نظر الحكومة - يعتقدون هذا المذهب دعماً لقضايا الشيعة الدولية. وقد تجلى ذلك في حجم المساحة النسبية الممنوحة للقادة الشيعة البارزين في المغرب، ومن بينهم إدريس هاني، مقارنة بالرقابة القريبة للمغربيين العاديين الذين يبدون اهتماماً بالمذهب الشيعي»<sup>(19)</sup>.

أما بخصوص العلاقات الخارجية للحركة الشيعية المغربية، فيمكن أن نشير في هذا السياق إلى مستويين<sup>(20)</sup>:

**أولاً:** أتباع مرجع معين، وبحكم أن المتشيعين بالمغرب لم يصلوا بعد إلى مرتبة المرجعية، فإنهم ملزمون باتباع أحد المراجع الشيعية بالمشرق.

**ثانياً:** الدعم المالي الذي أصبح يشكل تحدياً كبيراً للمتشيعين بالمغرب، خصوصاً بعد المحاصرة وإغلاق الجمعيات ووضع تحركاتهم تحت المراقبة، وقد سجلت بعض بوادر التنسيق بين المتشيعين المغاربة بالداخل والخارج، تحديداً للمتشيعين المقيمين في كندا وبلجيكا، التي تحتوي على نسبة مهمة من المتشيعين المغاربة.

(18) نص الخطاب الملكي الذي ألقاه يوم 30 يوليو (تموز) 2015.

(19) فيش، سكتيفيل، الطائفة الشيعية بالمغرب أصبحت أكثر جرأة، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 14 يناير (كانون الثاني) 2014، على الرابط المختصر التالي:

<http://cutt.us/uSQqD>

(20) المركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة: الحالة الدينية بالمغرب، التقرير الثالث 2011/2012. الطبعة الأولى يونيو (حزيران) 2015، ص 309.

## الظهور الإعلامي

يلجأ المتشيعون المغاربة، خصوصاً في ظل الحملة الأمنية، إلى الوسائط الإعلامية. عموماً لا توجد برامج قارة وخاصة بالمتشيعين المغاربة، إلا أنها تلعب دوراً كبيراً في جذب المغاربة إلى المذهب الشيعي، كما تلعب أيضاً دوراً في شرح تعاليم المذهب الشيعي من خلال برامج الأسئلة الشفهية والمذهبية. وخلال سنة 2012 تزايد نشاط هذه القنوات كحالة قناتين في إسبانيا تروجان للفكر الطائفي، تحمل الأولى اسم «تي في بريس» وهي قناة تبث برامجها باللغة الإنجليزية، فيما تحمل الثانية اسم «هيسبان تي في» وتبث برامجها باللغة الإسبانية، وتتلقيان دعماً مباشراً من طرف حكومة إيران، وتتولى مهمة نشر الفكر الطائفي. وقد قامت إسبانيا وأمريكا اللاتينية تطبيقاً لعقوبات دولية على إيران بإغلاق هذه القنوات<sup>(21)</sup>.

وقد تم تداول قضية تشييع مجموعة من المغاربة في مجموعة من القنوات الإيرانية، ونستعرض في هذا السياق بعض المشاهد التي تعبر عن هذا الأمر<sup>(22)</sup>:

### المشهد الأول

«أبراً إلى الله من أبي بكر وعمر وعثمان وحفصة، وأشهد أن أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة في النار»، بهذه العبارات أعلنت مغربية تدعى «أم ياسر» عن تشييعها مباشرة في مكالمة هاتفية مع الشيخ الشيعي ياسر الحبيب، وهو يقدم برنامجاً في قناة «فدك» الشيعية.

### المشهد الثاني

مواطن مغربي من مدينة طنجة يتحدث بحماسة لافتة عن تشييعه لقناة

(21) المركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة، مرجع سابق، ص 305.

(22) حسن، أشرف، مغاربة يعلنون تحولهم للمذهب الشيعي في قنوات فضائية، موقع هسبريس 27 فبراير (شباط) 2015، على الرابط التالي:

<http://www.hespress.com/orbites/256440.html>

فضائية شيعية، ويقول: إنه «نادم جداً بشأن الأربعين سنة من عمره التي ضيعها هباء في السنة»، قبل أن يستفيض في الحديث عن هبة شيعية هائلة بالمغرب، خصوصاً في طنجة وباقي مدن الشمال، بالنظر إلى الحق الذي وجدوه في المذهب الإمامي.

### المشهد الثالث

شابة مغربية تعلن تشيعها في قناة فضائية شيعية، وتؤكد أن جميع أفراد أسرتهما دخلوا هذا المذهب، وتركوا المذهب السنّي المالكي الذي يتدين به غالبية الشعب المغربي، مشيرة إلى أن «جيرانهم لا يعلمون بهذا الاختيار، لكنها لا تتوقع منهم ردود فعل رافضة» وفق تعبيرها.

تحمل هذه المشاهد في عمقها رسالتين: الأولى تؤكد إقبال العديد من الفئات على التشيع في المغرب، والثانية تضعنا أمام إشكالية عدد المتشيعين في المغرب ويطمس أكثر رقم الشيعة بالمغرب. إن هذه المشاهد بصفة عامة تشجع المغاربة على الإقبال على التشيع وتصحيح التمثلات التي يحملونها على الشيعة، كما تشكل كذلك أداة لتعبئة المتشيعين المغاربة.

وقد ورد كذلك خطاب لياسر الحبيب في قناة «فدك» الشيعية خص به شيعة المغرب، ويشيد بهم ويحرصهم وتقانيهم في خدمة أجدته الشيعية، ومبشراً إياهم بقرب قيام دولة شيعية بالمغرب. وقد طورت هذه القناة خطاباتها المتفرقة إلى برامج مطولة، فأصبحت تبث حلقات كاملة حول التشيع بالمغرب، وقد تمت عنونة إحدى الحلقات بـ«دهاء النظام المغربي في محاربة التشيع».

عموماً، تسهم هذه القنوات بشكل كبير في تشجيع المغاربة على الانفتاح على الشيعة، وتجاوز الخوف الحاصل لديهم من التشيع. وقد ورد في تقرير صادر عن المركز الأمريكي «بيو للأبحاث» سنة 2012 حول «العالم الإسلامي: الوحدة والتنوع»، أن (50%) من المغاربة لا يعتبرون الشيعة مسلمين<sup>(23)</sup>. على الرغم من أننا نتحفظ

(23) المركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة، مرجع سابق، ص 309.

على هذا الرقم وسنحلله في المحور الذي سنخصصه لدراسة الحالة.

أما بخصوص مواقع شبكة الإنترنت والمنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي، فتشكل القناة الرئيسية في الدعوى الشيعية واستقطاب المغاربة إلى المذهب الشيعي، وتعد الوسيلة الأكثر تعبيراً عن مختلف الحساسيات المتشعبة في المغرب. فبالإضافة إلى مواقع الدردشة الصوتية الذي يضم غرفة خاصة بمتشيعي المغرب، والتي تمتاز بحدة النقاش، نجد المواقع الإلكترونية وصفحات الفيسبوك التي نشطت بقوة في بداية حراك سنة 2011، فقد خاض المتشيعون المغاربة معارك على صفحات الفيسبوك ضد شخصيات سياسية وعسكرية، وطالبوا بالحق في تأسيس تنظيم خاص بهم، كما ردوا عبر منندياتهم شعارات حركة (20 فبراير)، مثلاً في منتدى يحمل اسم «أهل البيت» شنوا هجوماً على «حزب الأصالة والمعاصرة»<sup>(24)</sup> في سياق الرفض الشعبي له آنذاك<sup>(25)</sup>.

كما نسجل نشاط موقع «هيئة طنجة» المعروف بدفاعه عن طروحات الشيعي الكويتي ياسر الحبيب، حيث أصدر الموقع عديد البيانات، كالبیان الذي يطالبون فيه الحكومة المغربية «بحماية الشيعة المغاربة في بروكسل» على خلفيات مقتل عبد الله الدهدوه<sup>(26)</sup>، ونسجل أيضاً استمرار نشاط موقع «الخط الرسالي» الذي يديره عصام احميدان<sup>(27)</sup>، إذ يشكل هذا الموقع القناة الأساسية التي تعبر عن المواقف الرسمية «للخط الرسالي» تجاه الأحداث الوطنية والدولية.

أما بخصوص المقالات في الصحف الورقية والإلكترونية، فنجد عديد الكتابات خصوصاً في مواقع إعلامية ك«هسبريس» و«مغرس» وموقع «الخط الرسالي» وأغلب هذه الكتابات تعود إلى الشيعة المغاربة، يتقدمهم عصام احميدان وإدريس هاني.

(24) حزب مغربي تأسس سنة 2008، يضم في قيادته أحد المقربين من العاهل المغربي، وهو فؤاد عالي الهمة، الرجل السياسي الذي كان وزير داخلية قبل أن يستقيل ليترشح في الانتخابات التشريعية عام 2007 في منطقة الرحامنة شمال مراكش، وقد لقي عدة انتقادات من أحزاب سياسية أخرى ومواطنين.

(25) المركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة، مرجع سابق، ص305.

(26) رجل دين شيعي مغربي كان مقيماً في بلجيكا، اشتهر إعلامياً بعد مقتله في مسجد الإمام الرضا في العاصمة البلجيكية بروكسل.

(27) المركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة، مرجع سابق، ص306.

## الأداء الفكري والثقافي

اقتصرت التحرك الشيعي في هذا المجال على الأعمال التي يقوم بها بعض رموز المتشيعين؛ من خلال المقالات والحوارات التي تنشر بين فترة وأخرى، والتي تسعى إلى التقعيد «للفكر الشيعي» بالمغرب. ويمكن تلخيصها في كتابات كل من إدريس هاني، حيث اتجهت كتاباته إلى المجال الفكري والثقافي، إذ اعتبر المغرب بلداً شيعياً من حيث ثقافته وهويته، لأن تاريخه يدل على ذلك، وأعطى مثلاً التعبيرات الاحتفالية بـ«عاشوراء». وقد ورد في مقالته المعنونة «التشيع كمكون سوسيو- ثقافي مغربي» المنشور في «موقع هسبريس» الآتي: «إن المغرب في تقديري: سني في النظر، شيعي في العمل، سني في الترسيمة المذهبية، شيعي في التعبير عنها، سني في الصورة، شيعي في الجوهر، سني في المذهب، شيعي في الثقافة، سني في الجغرافيا، شيعي في التاريخ، سني في الأحكام، شيعي في الامتثال، سني في الوعي، شيعي في اللاوعي، سني المدعى، شيعي المتخيل. هناك ما لم يسلم للإسلام السني في عموم المغاربة من تلك الطقوس والسلوكات الثقافية التي لا تتطلب من الباحث الموضوعي كثيراً من الالتفات. فدائماً هناك شيء ما ظل يتعايش إلى جانب الإسلام السني، متحايلاً ضد سطوته الأرثوذكسية. أي ما دام هناك الكثير مما سلم به الإسلام السني أو سكت عنه أو امتنع عن التفكير فيه وإن لم يقبله، فعلينا أن نتحدث عن الهوية الخالصة الطهرانية. تلك هي ميزة الهوية المغربية الواضحة، وإن كانت حقاً سمة الثقافات كافة، وذلك قدرها الاجتماعي. إذ حتى لما يريد أن يدافع عن سنيته ويحارب الشيعة، يستند إلى شيعيته، فتراه في مواقع الحجج السني- الشيعي يزايد على الشيعة بشيعيته، باختصار: إنه شيعي رغماً عنه!»<sup>(28)</sup>.

إن ما يميز كتابات إدريس هاني ابتعاده عن الخطاب الفقهي والمواجهة مع رجال الدين، إلى خطاب العلوم الاجتماعية، وتحليل الممارسات الثقافية الشعبية والتدين الشعبي، إنه بتعبير آخر يستغل هذه العلوم، خصوصاً الأنثروبولوجيا والتاريخ،

(28) إدريس، هاني، التشيع كمكون سوسيو- ثقافي مغربي، موقع هسبريس، 2 سبتمبر (أيلول) 2009، على الرابط التالي: <http://www.hespress.com/writers/15002.html?print>

للبرهنة على أقواله وادعاءاته، وذلك بعد تأكده «الحياد الموضوعي والقيمي».

وفي كتاب آخر صدر له بعنوان «لقد شيعني الحسين» يحاول فيه عرض سيرته الذاتية، خصوصاً انتقاله من السنة إلى الشيعة، كما يعرض فيه أهم أفكاره التحليلية للتاريخ الإسلامي، وتحديدًا تاريخ قضية الخلافة. وقد خصص بداية الكتاب لعرض مرحلة الانتقال والتحول، ورصد أهم الموانع التي كان ينظر إليها كعائق يحول دون تشييعه، وقد خصص الفصل الأخير من الكتاب لعقائد الإمامية، ومفهومها وضرورتها وصفات الإمام وأفضليته وعصمته.

## الموقف من سورية

هذا، وقد أثرت رياح الربيع العربي بشكل كبير على كتابات إدريس هاني، حيث لوحظ أن كتاباته اتجهت أخيراً إلى مناقشة ما يقع في سوريا، والتي انحاز فيها بشكل كبير للنظام السوري، مبرراً الأعمال التي يقوم بها نظام بشار الأسد، حيث كتب عديد المقالات في هذا الصدد كمقال «تسليح المعارضة السورية: الإفلاس الكبير»، الذي نشره موقع «صحيفة تشرين» الحكومية، اعتبر فيه أن تسليح المعارضة السورية (الجيش الحر) ضرب من الحمق السياسي. ومقال آخر بعنوان «لقد فجرنا المجلس القومي السوري... وبعد» اعتبر فيه أن تدمير المجلس القومي عمل انتقامي اختبأت وراءه نزعة انتقامية تواطأت عليها دول إقليمية، وربط الحدث بإسقاط النظام السوري لطائرة تركية<sup>(29)</sup>.

أما عصام حميدان مؤسس «الخط الرسالي» فقد ركز في مقالاته على الجانب القانوني، نظراً لتخصصه القانوني وامتهانه المحاماة، كما أن أغلب مقالاته اتخذت طابع الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب والحرية الفكرية والعقائدية.

أما بخصوص حملة الأمن الفكري الذي ينتهجه المغرب تجاه التشيع الفكري

(29) الحالة الدينية بالمغرب، التقرير الثالث، مرجع سابق، ص306.



والكتاب الشيعي خصوصاً، فقد تم مصادرة عديد الكتب في النسخة الـ(18) من المعرض الدولي للكتاب بمدينة الدار البيضاء بالمغرب، والتي تم اعتبارها من طرف إدارة المعرض كتباً طائفية تروج للتشيع وتكفر المسلمين غير الشيعة<sup>(30)</sup>.

## التشيع الشعبي (دراسة الحالة)

للتدين أبعاد شتى، ولا يهمننا هنا الحديث عن التدين بالمعنى الفقهي والكلامي الذي يتقيد بقوانين ومفاهيم تخاطب الوعي، بوصفها جملة من التكاليف، وإنما نتحدث هنا عن الدين من وجهة نظر طقوسية رمزية تخاطب اللاوعي، وتتعدى في تعبيراتها مجال الفقه والتكليف، أي الدين كممارسة اجتماعية. فذاك مجاله علم الكلام وهذا مجاله السوسيولوجيا الدينية والأنثروبولوجيا الدينية. ما يهمننا نحن هنا ليس التوسع في تأويل هذه التعبيرات الرمزية للطقس، وهو مجال واسع ومهم نهض به لفيف من رواد السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا الدينية في المغرب بشتى صنوفها الأنجلوسكسونية والفرنسية والمغربية من (إرنست كلنر Ernest Gellner)، وإيكلمان (Dale. F. Eickelman)، ودوتي (Edmond Doutté)، حتى عبد الله حمودي<sup>(31)</sup>. ولكن همنا أن نحضر في الذات المغربية المتدينة وبالأخص تلك التي تدعي أنها شيعية التدين. إن المقصود هنا هو مظاهر تدين سوسيولوجي ملتبس بخبرات سوسيو- ثقافية، تحمل دلالات وقرائن خفية لا تجري عليها سنن التاريخ.

إن الوقوف عند التدين الشعبي بالمغرب أمر صعب جداً بحثياً، إذ من جهة نواجه غياب الدراسات والأبحاث المتخصصة في هذا الموضوع، ومن جهة أخرى نصطدم بصعوبة المقاربة الميدانية للموضوع. وكان علينا توظيف ما سماه عالم الاجتماع الأمريكي رايت ميلز (Wright Mills) بالمخيلة أو الخيال السوسيولوجي. لذلك ارتأينا الاستعانة بتقنية دراسة الحالة، ما دام من الصعب القيام بالدراسة

(30) نفسه، ص 306.

(31) إدريس، هاني، التشيع كمكون سوسيو- ثقافي مغربي، مرجع سابق.

الشاملة لهذا الموضوع، وما دام الموضوع لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة حالة منفردة ومحددة، نبتت في تربة اجتماعية معينة، وفي ظروف خاصة. إذ إن الاعتماد على طريقة دراسة الحالة في علم الاجتماع لا يعود سببه إلى تفادي دراسة المجتمع ككل، وإنما لفهم ظاهرة ما قد تشكل الشذوذ عن القاعدة، أو الشذوذ الذي يثبت صحة القاعدة.

### في مفهوم التدين الشيعي

إن الدين ظاهرة اجتماعية عرفت لها كل المجتمعات، وإن تعددت الصيغ والمرجعيات، فلكل دينه و«تصوره الخاص» للعالم، فالدين كما يقول إميل دوركايم (Émile Durkheim) هو نسق من «المعتقدات المقدسة التي تربط الأفراد معاً، وتحدد أشكال انتمائهم الاجتماعي إلى جماعات اجتماعية»، فالدين بالنسبة إليه هو «الحياة التي يتم التعاظمي معها بجديّة»<sup>(32)</sup>.

من جهة أخرى يرى ماكس فيبر (Max Weber) أن الدين هو «نوع من أشكال العمل الجمعي أو الطائفي، إنه نسق لتنظيم الحياة وتوحيد الجماعة»<sup>(33)</sup>. فالدين - برأيه - هو الذي يمكن من إعطاء صورة واضحة للعالم، لكي يصير مفهوماً للإنسان، ومن هنا كان إلحاحه على ضرورة الانتباه إلى «النظرة إلى الكون» من أجل فهم الدين والتدين في مجتمع من المجتمعات.

أما التدين فيعني بطريقة إجرائية الكيفية التي يعيش بها الناس معتقداتهم الدينية في حياتهم اليومية<sup>(34)</sup>، أي الكيفية التي يدبر بها الناس معتقدتهم الديني، من خلال التمثلات والممارسات، التي تحيل على مجموع المعتقدات والتصورات والإدراكات والمواقف تجاه الطبيعة والمجتمع، التي تتنظم في تشكيلها لدلالات منطقية

(32) عبد الرحيم، العطري، بركة الأولياء، بحث في المقدس الضرائحي، منشورات المدارس، الدار البيضاء، المغرب، 2014، ص 194.

(33) Max, Weber: sociologie des religions. traduit par julian pierre, paris, Gallimard, 1966, p22.

(34) عبد الفني، منديب، الدين والمجتمع: دراسة سوسولوجية للتدين بالمغرب، دار النشر أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006،

يسميتها ماكس فيبر «النظرة إلى الكون»<sup>(35)</sup>.

إن التدين الشيعي -إذاً- هو نمط من التدين، ونمط من الممارسات والمعتقدات في الحياة اليومية، التي تؤكد اتباعها وخضوعها وإيمانها بالمذهب الشيعي. لكن ما يميز هذا النمط من التدين هو تبنيه مواقف وتصورات تجاه الطبيعة والمجتمع بصفة عامة، وبصفة خاصة تجاه نمط آخر من التدين سواء كان داخل «حدود التدين الإسلامي» أو خارجه، وبالتالي فحضور هذا النمط من التدين يحمل من ورائه موقفاً تجاه التدين الآخر وخاصة التدين السني.

إن التدين لا يتخذ معنى الالتزام الديني والتعمق فيه، كما هو شائع في أساسيات الحس المشترك، إنه بناء لمفهوم جديد، يدل على طرائق تدبير المعتقد وصوغ النظرة إلى الكون، مع ما يستتبع ذلك من الطقوس وممارسات واعتقادات، تؤثر في إنتاج العلاقات والفعاليات، وبناء إمكانات الفعل والتفاعل الاجتماعي. فإذا كان الدين يهتم الجوهر والتصور العام، فإن التدين يخص الشكل وإمكان التدبير، وخصوصاً أن التدين لا يكون «صافياً» و«نقياً» في غالب الأحيان، بل يجر وراءه تاريخاً من الانتماءات المتعددة، ذلك أن الطقوس والممارسات التي تبرر «التدين»، لا تنتج ويعاد إنتاجها في انفصال تام عن تاريخية المجال الذي تتم فيه، ولا عن سيرورته وجغرافيته أيضاً.<sup>(36)</sup>

## الحالة المبحوثة

تتتمي الحالة المدروسة في هذا البحث إلى جنوب المغرب، وبالتحديد منطقة اشتوكة آيت باها الواقعة بتراب منطقة سوس بجنوب المغرب)، وهو ذكر لا يتجاوز عمره ثلاثاً وأربعين سنة، حالته العائلية أعزب، يقيم مع أسرته، ومهنته ما يسميه «الطب البديل أو التقليدي» (ويدعي أنه يشفي كل الأمراض خصوصاً مرض

(35) المرجع السابق، ص 8.

(36) عبدالرحيم العطري، مرجع سابق، ص 195.

السرطان). وقد تلقى دراسته في المدرسة العتيقة<sup>(37)</sup> بسوس<sup>(38)</sup>، وبها درس القرآن وحفظه بأكمله. ودرس كذلك الفقه وعلوم القرآن والحديث. يقول إنه بحث كثيراً في التاريخ الإسلامي، وبالأخص في تاريخ الخلافة. وقد اعتنق المذهب الشيعي منذ أزيد من ست سنوات (أي قبل سنة 2009)، لم يكن يصرح بأنه شيعي إلا في الآونة الأخيرة «لأصدقائه المقربين جداً فقط». شبكة علاقاته محدودة، تهم «الأشراف» (ذوو النسب النبوي الشريف) وأئمة المساجد وطلبة القرآن، وبعض الأشخاص الذين يمارسون مهنة التداوي بالأعشاب وما يسمى بـ«الطب التقليدي»، كما له بعض الأصدقاء الشيعة تعرف عليهم من خلال شبكة التواصل الاجتماعي، يقطنون في مدينة طنجة بشمال المغرب، علاقتهم ليست شخصية أو قوية، إنما مجرد تعارف وتبادل المعرفة حول كل ما يتعلق بالشيعة، هذا على المستوى الوطني. أما دولياً، فيشير إلى أنه يتواصل مع أصدقاء كثر على شبكة التواصل الاجتماعي (الفايسبوك)، من إيران والعراق والجزائر، إذ من خلال تواصله معهم يؤكد أنه «يتعرف يوماً بعد يوم على المذهب الشيعي»، سألناه عن عدد أصدقائه الشيعة في المنطقة فرفض الإجابة، لكنه يصر على وجودهم، لكن نظراً لأمانته نحو أصدقائه، فلن يجازف بذكر أي أحد منهم. أما بخصوص علاقته بأعلام «الخط الرسالي» فإنه يقول: «لم تسمح لي الفرصة للتعرف عليهم وسأتعرف عليهم مستقبلاً إن شاء الله».

وبخصوص أسباب تشييعه؛ أشرنا سابقاً إلى أنه كان يبحث في التاريخ الإسلامي وتاريخ الخلافة والمذاهب الإسلامية. وقد جاء على لسانه: «جمعت معطيات مهمة واقتنعت بهذا المذهب». من أهم القضايا التي كان لها الحسم في تشييعه: قضية الولاء وحب أهل البيت، الخلافة لعلي، وقضية الخلفاء الاثني عشر، وقضية زواج المتعة، وقد

(37) تشكل المدارس العتيقة أهم المؤسسات الدينية في منطقة «سوس»، وتعد هذه المدارس مؤسسة دينية تعليمية تسهر على تلقين وتحفيظ القرآن والعلوم الفقهية السننية للطلبة، وكانت أبرز الفاعلين في التدين الرسمي واليومي للسكان، وما يميزها هو تبنيها المذهب المالكي.

(38) تتميز منطقة سوس بخصوصية ثقافية وتاريخية ودينية مميزة عن باقي جهات ومناطق المغرب، إذ شكلت هذه المنطقة عبر التاريخ مجال توافد عديد من الثقافات والديانات. والمؤكد تاريخياً أن غالبية سكان سوس من المصامدة، وفيهم أقلية زناتية وصنهاجية، وقد اختلط هؤلاء مع كثير من العناصر النازحة وبالأخص الأفاارقة والعرب واليهود والأندلسيون، وقد اندمجت كل هذه العناصر ضمن القبائل المستقرة في سوس في نهاية القرن التاسع عشر. كما أن ما يميز هذه المنطقة عن باقي مناطق المغرب هو هيمنة التدين الإسلامي السنني والتصوف، كما تشكل مجالاً لانتشار الزوايا والمدارس العتيقة.

كان الحسم في هذه القضايا من خلال ما يسميه بـ«الاستبصار»، وقد ذكر في هذا السياق سلسلة من الوثائق منشورة على صفحات ومنديات الشيعة، وخاصة «سلسلة وثائق من كتبكم نحاجكم» بمنتدى «أهل البيت» و«سلسلة وثائق عزرائيل العمرية أنصار الكراد». وتجدر الإشارة إلى أن أبرز العوامل التي أسهمت في تشييعه، هو تتبعه لصفحات التواصل الاجتماعي وبعض القنوات الفضائية (فدك، أهل البيت... إلخ).

وفي حديثه عن تاريخ الشيعة بالمغرب، يقول: «وكان إدريس الأول هو من أسس للتيار الشيعي في المغرب. وذكر هذا الأمر في عديد من الكتب، أهمها كتاب الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى. منذ تلك الفترة بدأ المد الشيعي يتطور شيئاً فشيئاً، أما في وصفه للحالة الشيعية بالمغرب في الفترة الراهنة، فقد جاء على لسانه كالآتي: «ليست هناك دراسة علمية دقيقة أو تقريبية، مجرد تخمينات الصحافة التي ليس لها أي أساس من الواقع، فإذا حدث وأن قامت المندوبية السامية للتخطيط أو مؤسسة ما بهذا الإحصاء، فلم ولن يكون إحصاء يضم معطيات حقيقية. لماذا؟ لأن هناك عديد الأشخاص الذين تقلدوا المذهب الشيعي لكنهم يخفون هذا الأمر عن العامة بسبب مكانتهم في المجتمع أو الخوف من أن يكونوا محط نقد كبير لاذع من طرف المجتمع»، ويبرز لنا هذا القول طبيعة التمثلات السائدة في المجتمع المدروس حول المتشيع، كما يوضح انتشار الخوف من الجهر بطبيعة التدين لدى المتشيع المغربي. كما تحدث عن الحالة الشيعية بالمنطقة التي ينتمي إليها (منطقة سوس) فقال: «أما وجود الشيعة بسوس، فليس عددهم بكثير، لكن ما يمكن أن أقوله: إن سوس هي المنطقة المشهورة بالزوايا والتصوف في المغرب، والتيار الشيعي من أهم مؤيدي تقديس الأولياء والتبرك (...). وأضيف لك أن الزوايا لم تنتشر في المغرب إلا بفضل الله (عز وجل) والشيعة وإدريس الأول وهو شيعي الأصل». إن ما يتضح لنا في هذا التعبير هو طبيعة المزج بين التدين الشعبي والمعتقد الشيعي لدى الحالة المدروسة، إذ بمحاولته هذه حاول تحقيق تبرير ذاتي لتشييعه، بعد أن كانت المعطيات التاريخية قد فتحت له المجال لذلك. وفي وصفه لكيفية انتشار التشيع في صفوف المغاربة، فقد تحدث عن دور وسائل الإعلام التقليدية والإلكترونية، ويقول في هذا الصدد: «الأسلوب الأساسي للدعوة الشيعية وتحقيق الولاء لأهل البيت والبراء لأعدائهم، هو الاستبصار ويتم بوسائل الإعلام

الصادق، وهذا الأخير يعتمد على المراجع والأدلة والمقارنة، أي المقارنة بين ما جاء في كتب السنة وما جاء في كتب الشيعة للوصول إلى الحق وإثباته ببراهين قوية، وهناك مجموعة من القنوات التي تقوم بالدعوة بهذا الشكل، لكن في بعض الأحيان يتم إيقافها من طرف جهات قوية كقناة فذك وأهل البيت (...). وبغض النظر عن وسائل أخرى، وهي مهمة جداً كوسائل التواصل الاجتماعي كالفيسبوك أو الواتس أب (...). فهناك عديد من الصفحات الفيسبوكية التي تقوم بالاستبصار».

أما بخصوص حديثه عن الممارسات الطقوسية التي يعتقد بها، فيحدثنا قائلاً: «بالنسبة للطقوس والممارسات؛ هناك مجموعة من الطقوس التي يمارسها الشيعة في العالم العربي، وهناك اختلافات كبيرة حول هذه الطقوس من طرف العلماء، سواء من أهل السنة والشيعة، هل تجوز أم لا أساس لها من الدين الإسلامي؟ أما في المغرب، فالشيعة يقومون بتقديس الأولياء والتبرك بهم كما أن هناك طقساً شيعياً خاصاً وهو ما يسمى بطقس التطبير، ففي السنة الماضية تم القيام بهذا الطقس بشكل علني في شوارع مدينة طنجة، والحقيقة أن التطبير لا أساس له من الإسلام، حسب جميع العلماء، ولقوله عز وجل: (وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)».

كما كان موقفه واعتقاداته حول التاريخ الإسلامي أبرز مبررات تشييعه؛ إذ يقول بخصوص قضية الخلافة: «سبب الفتنة هو عمر بن الخطاب، لأنه هو المانع لوصية الخلافة في رزية يوم الخميس في حديث القرطاس. والشيعة كلهم يبغضون أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد وعائشة وحفصة، بالرغم من أن بعض العناصر يخفون هذا البغض. وأفضل الصحابة وأحقهم هو علي، وكل من خالف علياً سأخالفه. أما خديجة فتحبها ولا نتبعها».

أما موقفه وتمثلاته تجاه باقي التيارات والمذاهب الإسلامية، فيقول: «الخوارج يوجدون في الرياض بالسعودية، وهم من قتلوا سيدنا علياً (عليه السلام)، أما المعتزلة فهم معتزلون عن الشيعة والسنة. أما السلفيون فقد تابعوا الخلفاء الأربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً. وليست هناك علاقة بيننا وبينهم، فنحن كشيعة نختلف

معهم كثيراً خصوصاً في التاريخ الإسلامي. أما التيار الوهابي فأصله من السنة، وأهل السنة لم يحضروا لطقوس دفن الرسول، بل اهتموا وشغلوا بالخلافة والسلطة، فكيف نتبع هؤلاء الذين فضلوا أشغال الدنيا ومتاعها من الرسول (صلى الله عليه وسلم)».

## استنتاجات

يمكن تصنيف استنتاجات هذا البحث إلى صنفين: صنف متعلق بالأداء التنظيمي للشيعة بالمغرب، وصنف آخر يخص الحالة المبحوثة.

### استنتاجات حول الأداء التنظيمي للشيعة بالمغرب

- أ) ينبنى الأداء التنظيمي للشيعة بالمغرب على التعددية في أنماط الظهور، ولا يقتصر على الجانب السياسي والإعلامي بمفرده، بل يمتد إلى الحقل الثقافي والاجتماعي.
- ب) إن الظهور الإعلامي هو أبرز آلية يعتمدها الأداء التنظيمي الشيعي بالمغرب، قصد تسويق مواقفه وتبرير عقائده وطقوسه ومواجهة أعدائه.
- ج) يبقى الحقل السياسي أهم المجالات التي يشتغل فيها وبها الأداء التنظيمي الشيعي بالمغرب، حيث يشكل أبرز ورقة يتم المراهنة عليها.
- د) إن الأداء التنظيمي الشيعي بالمغرب يسير نحو تطوير وتوسيع آلياته وطرق عمله وقنواته.

### استنتاجات حول الحالة المبحوثة

- أ) ارتبطت أسباب تشيع المبحوث ببحثه في قضايا شكلت إشكاليات في التاريخ الإسلامي، خاصة في قضية الولاء وحب أهل البيت، الخلافة لعلي، قضية الخلفاء الإثني عشر، قضية زواج المتعة.

ب) أسهمت وسائل الاتصال والإعلام خاصة الإلكترونية بشكل كبير في تشييع الحالة المدروسة.

ج) يعيش المتشييع المدروس حالة من الفوبيا الاجتماعية، إذ طالما يحاول إخفاء تشييعه خوفاً من ردود الفعل الصادرة عن المجتمع، وهذا ما يبرز طبيعة التمثلات السائدة لدى العامة حول التشييع.

د) يميل المبحوث إلى تكوين شبكة من العلاقات الاجتماعية (واقعية وافتراضية)، قصد تصدير نمطه من التدين ومواجهة الفوبيا الاجتماعية التي يعيشها.

هـ) إن طبيعة التدين الشعبي السائدة في المجال المبحوث (منطقة سوس التي تتميز بانتشار التصوف، والزوايا والمذهب المالكي) لا تمنع ظهور التشييع، بل شكلت في الحالة المدروسة حافزاً في الانتقال من السنة إلى الشيعة.

و) يشكل الوضع الاجتماعي الهش الذي يعيشه المتدين المبحوث، تربة خصبة للتحويل المذهبي.

ز) إن للأداء التنظيمي الشيعي بالمغرب دوراً أساسياً في جذب وتوفير الأمن العقائدي والاجتماعي للحالة المبحوثة.